اضواء على

حركات الكفاح المسلح في افريقيا

بقلم حسين شعلان

الحديث عن حركات التحرر الوطنية المسلحة في افريقيا ، يعني الحديث عن نضال « الانسان الافريقي » ضد أشكال الاستعمار التي عرفها التاريخ الحديث ـ ويعرفها التاريخ المعاصر ، في صورها الثلاث : الاستعمار التقليدي (القديم) ، والاستعمار الاستيطاني (العنصري) ، والاستعمار الجديد .

ومن هنا نقول ـ دون أن نبالغ في تبسيط الامور ـ ان « الانسان الافريقي » وهو يحمل السلاح ضد أشكال الاستعمار الثلاثة هذه ، يقدم نموذجا مجسدا لنضال « انسان القرن العشرين » ضد القهر والاستغلال الاجنبي . ونضيف ان « الانسان الافريقي » ـ بذلك ـ انما يساهم مساهمة ايجابية في انجاز المهمة التي طرحتها شعوب العالم في الستينات من هذا القرن . ألا وهي مهمة تصفية الاستعمار كنظام . ولا شك أن هذه المساهمة الافريقية ، سوف تترك بصماتها الواضحة على المحصلة الاخيرة لنضال « انسان القرن العشرين » من أجل هذه القضية المنتصرة برغم كل التعرجات والانتكاسات المحدودة والمؤقتة .

ومن الطبيعي ان نقول ، باننا نسلم مقدما باختلاف الظروف الموضوعية التي يحارب في ظلها « الانسان الافريقي » عن تلك التي يحارب في ظلها « انسان آسيا » أو « انسان امريكا اللاتينية » . ولا بد من أن نسلم بالتالي بحقيقة أن اختلاف هذه الظروف يفرض بالضرورة اختلاف بعض تاكتيكات الكفاح المسلح . ولكن ذلك كله لا يلغي اتفاقها جميعا في الهدف الرئيسي : تحرير الارض وتحرير الانسان .

المناخ الخاص :

ويمكن ان نجمل ظروف هذا المناخ الخاص بحركة الكفاح الوطني المسلح في افريقيا ، تحت عنوان عريض هو واقع « التخلف الرهيب » الذي تقوم على أرضه هذه الحركات المسلحة .. وفي مواجهته من أجل تغييره .

صحيح ان حركات التحرير المسلحة في آسيا وفي امريكا اللاتينية، تقوم ايضا في ظل ظروف من التخلف الاجتماعي والاقتصادي تعاني شعوبها . فذلك التخلف ـ في الحالتين ـ نتاج الحكم الاستعماري ومخططه الطبيعية وسبب انفجار الحركات الوطنية نفسها . ولكن واقع التخلف في افريقيا ، يفوق كثيراً واقع التخلف في آسيا أو في امريكا اللاتينية .

فحركات التحرير المسلحة في امريكا اللاتينية أو في آسيا ، تعيش في ظل علاقات اجتماعية أكثر تقدما من تلك التي تعيش في ظلها حركات التحرير المسلحة في افريقيا . ففي معظم مستعمرات آسيا وامريكا اللاتينية ، حطم الاستعمار الى حد بعيد معظم الهياكل الاجتماعية والسياسية والاقتصادية القديمة . ولكنه لم يفعل ذلك في افريقيا عن عمد .

وبينما ترتب على ذلك في آسيا وامريكا اللاتينية ، قيام مؤسسات قومية جديدة اكثر قوة من تلك القديمة .. مكنها بعد ذلك من النهوض لمواجهة الاستعمار ، ترتب على السبب نفسه ، بقاء الجوهر الاساسي للمؤسسات القومية القديمة في افريقيا في حالة من الضعف النسبي . فان تحرك بعضها في مواجهة الاستعمار ، غلب عليها طابع القصور في مواجهة أرقى اشكال مؤسسات القهر الاستعمارية .

فظاهرة القبلية ـ مثلا ـ من أهم المصاعب التي تواجه حركات التحرير المسلحة في افريقيا . اذ أن ابقاء الاستعمار عليها ـ عن عمد ـ فضلا عن اذكائه لعوامل الحزازات بينها ، نمى عنصر الولاء للقبيلة . يزيد من عبء « الولاء القبلي » على الحركة الوطنية المسلحة ، ظاهرة الدولة غير المركزية . ومن ثم يصبح « الولاء القومي » عنصرا هاما من عناصر تقديم الكفاح المسلح تسعى الاجهزة السياسية للحركات الوطنية المسلحة الى خلقه والتأكيد عليه . لقد اعتاد المواطن الافريقي ـ في هذه المناطق ـ وبفعل الخديعة الاستعمارية ـ ان يحمل سلاحه ، أيا كان نوعه ، ليواجه مع غيره من أفراد قبيلته ، أفراد قبيلة أخرى تعيش الى جواره على نفس ارض الوطن . أما أن يحمل مع غيره من قبيلة أخرى سلاحا واحداً ليقفا جنبا الى جنب في خندق واحد ، ضد عدو واحد ، فذلك ما لم يعتده الافريقي في هذه المناطق كثيرا . ومن هنا يظل عنصر « الشك » قائما بين رفاق السلاح حتى وان غلب عليهما معا عامل « الولاء القومي » . ولذلك بالتأكيد انعكاساته الضارة على الحركة العامة للكفاح المسلح .

وظاهرة الامية السائدة في افريقيا والتي تبلغ ـ مثلا ـ من بلد كغينيا « المسماة بالبرتغالية » ٩٩ ٪ ، تلعب بدون شك دوراً معوقا للكفاح المسلح ومتطلبات خلق الكادر العسكري ـ السياسي الذي يرقى الى مستوى مهام المعركة المسلحة ضد الاستعمار . ولا يؤثر ذلك فحسب على متطلبات وجود الكادر العسكري السياسي ، وانما على احتياجات الحركة المسلحة نفسها من ضرورة توافر أطباء مثلا أو معلمين أو فنيين .. الخ .

واذا أضفنا الى ذلك على الفور ، ظاهرة عدم وجود لغة قومية واحدة يسود استخدامها في المجتمع ، في معظم الاحوال ، لادركنا بعداً آخر من مصاعب هذا الواقع . ولا شك ان لذلك تأثيره الذي لا ينكر على العمل والنشاط الدعائي للحركة الوطنية المسلحة ، سواء في الوسائل المكتوبة كالمنشورات والبلاغات العسكرية ، أو في الوسائل المسموعة كالاذاعة .

وهناك عامل آخر له تأثيره على حركات التحرر الوطني المسلحة في افريقيا . فهي تواجه ميدانا جديدا عليها . ففي آسيا مثلا ، نستطيع ان نقول أن أي حرب عصابات وطنية جديدة ، سوف تجد أمامها تراثا ضخما ثريا بالخبرات لمدارس وتجارب نضالية في حرب العصابات كتجربة ماوتسي تونج في الصين أو هو شي منه والجنرال جياب في فيتنام . وفي امريكا اللاتينية ، هناك أيضا مدرسة وتجربة كاسترو وجيفارا في كوبا ثم في بوليفيا . أما في افريقيا ، فان واقع حصول الغالبية العظمى من بلدان القارة على استقلالها السياسي بأساليب العمل السياسي أو الضغط الدولي .. وبشكل عام بأساليب غير « الحرب المسلحة » ، قد لعب دوره في عدم قيام ما يمكن أن نسميه « بمدرسة افريقية لحرب العصابات » . وهنا تبقى « تجربة الجزائر » تجربة فريدة ورائدة في افريقيا ولكن عدم صياغة تجربتها في حرب العصابات حتى الان بالاضافة الى « ظروفها الخاصة » في هذه التجربة .. قلل من انتشارها كنموذج . ومن هنا نقول ان المناضلين الجزائريين مطالبون بصياغة تجربتهم نظريا لاثراء خبرات حركات الكفاح المسلح في افريقيا . وهم بلا شك يتحملون المسئولية الاساسية في

هذا الصدد . ولكن ذلك كله لا يقلل أو يلغي من فعالية المساعدات التي قدمتها وتقدمها الجزائر للمناضلين الافريقيين .

نضيف الى هذه الظواهر ، ظاهرة تخلف بعض الديانات التي ما تزال تؤمن بها قطاعات عريضة من الجماهير الافريقية في هذه المناطق. فما تزال تنتشر حتى الان بعض الديانات الوثنية التي ترتبط بغيبيات مغالى فيها . ولهذه الظاهرة تأثيرها الضار في اعاقة حركات الكفاح المسلح . فبينما كان الامبرياليون الامريكيون والبلجيكيون والبريطانيون، يحشدون أرقى ما وصلت اليه صناعة الاسلحة الحديثة من معدات لضرب حركة الكفاح المسلح في الكونجو كينشاسا أبان حكم العميل تشومبي (بغزو الكونجو في عام ١٩٦٤) ، كانت بعض قطاعات الحركة الوطنية الكونجولية المسلحة ، تستقدم « السحرة » لعمل « أحجبة » و « تعاويذ » لمواجهة أحدث الطائرات الاستعمارية . والنتيجة .. في غنى عن أي تعليق أو تحليل .

وباختصار ، فان نتاج وسائل الانتاج المتخلفة وما يترتب عليها من علاقات اجتماعية متخلفة بالضرورة ، لا بد وأن تشكل عائقا من عوائق انطلاق العمل الوطني المسلح في مواجهة نتاج وسائل الانتاج الرأسمالية في قمة تطورها .

وبرغم ما في هذه الصورة من ظلال قاتمة ، فان شعاعات من التفاؤل تلقي بظلها لتبدد بعض هذه القتامة . ومرد هذا التفاؤل ، ان عمليات الكفاح الوطني المسلح نفسها في صراعها الضاري مع القوى الاستعمارية ، لا بد وأن تؤثر ـ بفعل عوامل رد الفعل على الاقل ـ على تخلي كثير من تلك القطاعات عن كل ما يعوق صراعها من أجل الحياة.. سواء في معتقداتها أو في وسائل عملها .

الكفاح المسلح .. ضد الاستعمار البرتغالي :

تعتبر انجولا وموزمبيق وغينيا « المسماة بالبرتغالية » وجزر الرأس الاخضر وساوتومي وبرانسيب ، آخر المستعمرات التقليدية في افريقيا . اذ تقع جميعها تحت سيطرة البرتغال التي تشكل في الوقت الحالي أكبر استعمار تقليدي يرجع الى القرن الخامس عشر .

وتبلغ مساحة هذه المستعمرات البرتغالية ٢ر٠٦٠ر٠٠٠ كيلو متر مربع ، أي ٢٢ ضعفا لمساحة البرتغال نفسها ، ويقيم عليها حوالي ١٢ر٨ مليون افريقي .

وما يزال الاستعمار البرتغالي يكيف سيطرته لمستعمراته الافريقية من خلال اطار متخلف بالنسبة لتطور الاستعمار العالمي وأشكاله الجديدة . فمنذ دستور « الدولة الجديدة » الذي وضعه سالازار في ١٩٥١ ، ثم عدله في ١٩٦٣ ، والبرتغال تعد مستعمراتها « اقاليم فيما وراء البحار » وجزءا من أراضي البرتغال نفسها .

والواقع أن هذا الاطار « المتخلف » ، محصلة موضوعية لواقع أن البرتغال نفسها تعد دولة متخلفة بالنسبة لدول أوربا . فنسبة الامية فيها تزيد على ٤٠ ٪ . ومعظم الصناعات القائمة فيها وفي مستعمراتها أجنبية . بل لعلنا لا نتجاوز الحقيقة العلمية اذا قلنا ان البرتغال نفسها تكاد تكون « شبه مستعمرة » أو هي كذلك بالفعل . ولكي لا تبدو هذه الحقيقة غريبة نذكر الحقائق الآتية :

- حتى عام ١٩٦٥ ، بلغ عدد الشركات الاجنبية العاملة في البرتغال ١٢٢ شركة امريكية وبريطانية والمانية غربية وبلجيكية وفرنسية .
- حتى نهاية عام ١٩٦٦ ، بلغت الاستثمارات البريطانية في البرتغال ما يزيد على ٩٠ مليون جنيه استرليني . وتسيطر المانيا الغربية على النسبة الكبرى من الاستثمارات الاجنبية وعلى ٥٠ ٪ من واردات البرتغال للآلات الصناعية .
- كان ميزان المدفوعات البرتغالي حتى عام ١٩٦٥ ـ ولمدة ٥ سنوات ـ في صالح المانيا الغربية بما يساوي ٢٠٠ مليون مارك .
- أقام احتكار « ستاندارد اليكتريك » الامريكي شركة تصنيع احتياجات جيش البرتغال العسكرية . كما أسست المانيا الغربية مصنعا آخر لنفس الغرض .
- لالمانيا الغربية ما يزيد على ١٥٠٠ جندي وضابط في البرتغال منهم ٥٠٠ يشكلون بعثة دائمة بقيادة الجنرال ف. بيكر لتدريب القوات البرتغالية ولتقديم النصح للجيش البرتغالي . ولامريكا مستشارون عسكريون في وزارة الدفاع البرتغالية .
- لامريكا قاعدة عسكرية نووية في البرتغال ولفرنسا قاعدة للصواريخ الموجهة .
- لحلف الاطلنطي قواعد وقوات عسكرية في أراضي البرتغال ، تساند النظام الفاشي القائم ضد غضب الشعب البرتغالي واحتمالات ثورته .

لكل ذلك ، فان البرتغال الاستعمارية ، تظل حتى اليوم غير قادرة على استيعاب مظاهر التطور الاستعماري الجديد ، وغير قادرة ايضا على صياغة علاقتها بمستعمراتها في اطار جديد .

ولان المستعمرات البرتغالية في افريقيا ، هي المورد الاساسي لحياة الاقتصاد البرتغالي ، فان الحكومة الفاشية القائمة في البرتغال مستعدة ـ كما كان يعلق سالازار ـ لان تقاتل « حتى آخر رجل وحتى اخر قطرة من الدماء » للاحتفاظ بالمستعمرات .

وذلك بالتحديد ما يدفع البرتغال ـ امام تنامي الحركة الوطنية المسلحة ـ الى العمل بكل الوسائل لاجتذاب رؤوس الاموال الاجنبية الى المستعمرات البرتغالية في افريقيا لتحقيق هدف مزدوج :

أولا : الحصول على سند مادي للحرب التي تشنها ضد الشعوب الافريقية في مقابل امتيازات لاستغلال الثروة الزراعية والمعدنية .

ثانيا : تطوير اقتصاديات هذه المستعمرات بسرعة لا تقدر هي عليها لتحقيق ارباح كبرى ولنعطي أمثلة على ذلك، نسوق ما يحدث في انجولا.

عند تحليل التجارة الخارجية لانجولا ، نجد أن الاقتصاد الانجولي مسخر لتلبية احتياجات البرتغال ودول السوق الاوربية المشتركة وبريطانيا والولايات المتحدة . ويدير المعسكر الامبريالي ـ عن طريق استثماراته الاحتكارية ـ كل قطاعات الاقتصاد الانجولي ، فتدير رؤوس الاموال الالمانية الغربية والامريكية ، انتاج الحديد . وتدير رؤوس الاموال البريطانية والبلجيكية والفرنسية سكة حديد انجولا التي تربط اقليم كاتنجا (أغنى أقاليم الكونجو كنشاسا بالمعادن) بالبحر وتدير رءوس الاموال البريطانية والبلجيكية والفرنسية انتاج الماس . وتدير رءوس الاموال الامريكية والبلجيكية انتاج البترول .

ووراء هذه المصالح الاقتصادية الامبريالية ، يكمن تفسير موقف حلف الاطلنطي من الحرب التي تشنها البرتغال ضد حركات الكفاح المسلح الوطنية في المستعمرات البرتغالية ، بزعم انها « دفاع عن العالم الحر » .

ويمتد هذا التحالف مع البرتغال ، الى جنوب افريقيا وحكومتها العنصرية فلجنوب افريقيا أيضا استثماراتها الكبيرة في المستعمرات البرتغالية وخاصة في مجال انتاج الماس ، واقامة سد كابور اباسا (الذي تقدر ما سوف يقدمه من طاقة كهربائية بـ ٧٠٪ من الطاقة الكهربائية التي ينتجها السد العالي في مصر) هذا بالاضافة الى أن ١/٥ العملة الصعبة التي تحصل عليها البرتغال ترد عن طريق عمال موزمبيق الذين يعملون في جنوب افريقيا .

وفي مواجهة الاستعمار البرتغالي هذا ، والذي تسانده قوى الامبريالية العالمية والنظم العنصرية في افريقيا ، قامت الحركة الوطنية المسلحة في كل من انجولا وموزمبيق وغينيا .

لقد كان لقيام الفاشية في البرتغال عام ١٩٢٦ ـ بوصول سالازار الى السلطة ـ نتائج بعيدة الاثر في المستعمرات البرتغالية . فمع الفاشية استخدمت اكثر اشكال القهر والاستغلال عنفا . ولكنها عجزت عن اخضاع الافريقيين . بل أحدثت تأثيرات مضادة تماما . فقد خلق العنف الاستعماري الوعي الوطني ونماه . ومنذ عام ١٩٢٩ شهدت هذه المستعمرات ظهور حركات احتجاج وطنية أدت الى تأسيس روابط ذات طابع اقتصادي ونقابي . ولكنها لم تكن لتخلو من محتوى سياسي مميز.

وهكذا تأسس في تلك الفترة عدد من الجمعيات والروابط والنقابات، لعبت دورا هاما في عملية التوعية وتحديد مطالب الجماهير. ومع تصاعد نشاط هذه الجمعيات ، اكتسبت مطالب الجماهير الطابع السياسي الوطني وتبلورت التناقضات داخل هذه الجمعيات .

وكان هناك بشكل عام اتجاهان : احدهما اصلاحي يقول بالكفاح القانوني او السلمي التدريجي . والآخر ذو محتوى ثوري يرى القيام باعمال اكثر عنفا ضد القهر والاستغلال الاستعماريين .

ونتيجة للقهر الاستعماري ، سحقت كل المحاولات القانونية والسلمية . مما شجع الثوريين الذين أفلتوا من الاعتقال ، على الانتقال الى العمل السري ، وقامت الاحزاب الثورية في المستعمرات البرتغالية.

انجولا .. تبدأ الهجوم :

في عام ١٩٥٣ ، تأسس « حزب الكفاح المتحد لانجولا » كتنظيم سري يدعو الوطنيين الى الانخراط في العمل السري والاستعداد للنضال . وفي ١٠ ديسمبر ١٩٥٦ ، تكونت « الحركة الشعبية لتحرير انجولا » ، في لواندا (العاصمة) من حزب الكفاح المتحد وعدد من التنظيمات الوطنية الاخرى الصغيرة وبعض الجمعيات السرية ، ودعا بيان الحركة عند تأسيسها ، الشعب الانجولي « للكفاح الثوري من اجل تحطيم الاستعمار البرتغالي والسيطرة الامبريالية وقيام انجولا المستقلة » . واستجابة لنداء الحركة ، قرر تنظيم « حركة الاستقلال الوطني لانجولا » أن يتحد مع الحركة الشعبية في عام ١٩٥٨ بعد الاتفاق على برنامج عمل موحد .

وبشكل مواز لقيام « الحركة الشعبية ، قامت بعض التنظيمات السياسية التي ضمت عناصر المهاجرين الانجوليين ـ في الاساس ـ وخاصة المقيمين في الكونجو كنشاسا . ومن هذه التنظيمات (اتحاد شعب انجولا ـ حزب انجولا الديمقراطي) تكونت الجبهة الوطنية لتحرير انجولا التي اصبحت تسمى في ١٩٦٢ « حكومة جمهورية انجولا في المنفى » . وكان لقيام هذه التنظيمات ـ ثم حكومة المنفى ـ على أرض الكونغو كنشاسا ، آثارا سياسية انعكست على حركتها هي نفسها متأثرة بالمناخ السياسي في الكونجو وسارت على نمطه .

وفي فبراير ١٩٦١ قررت « الحركة الشعبية لتحرير انجولا » التحول الى الكفاح المسلح ضد الاستعمار البرتغالي . وفي ٤ فبراير هاجمت مجموعات مسلحة لها السجون والثكنات العسكرية ومحطة اذاعة لواندا ، ووجهوا نداء للبلاد باجمعها لتهب ضد الاستعمار .

وهكذا بدأ الكفاح المسلح في انجولا .

في ذلك الوقت المبكر من انفجار حركة التحرير المسلحة ، انقسم العمل المسلح فيما بين الحركة الشعبية وبين حكومة انجولا في المنفى . وطبيعي ان ينعكس ذلك على الحركة الوطنية الافريقية ككل ، وبتأثير الجناح اليميني داخل الحركة الوطنية الافريقية وغلبة الاتجاه التوفيقي ، خطت حكومة انجولا في المنفى باعتراف وتأييد منظمة الوحدة الافريقية . ولكن تطورات الاحداث ، اثبتت ان حكومة انجولا في المنفى ، لم تكن الا محاولة « لاحتواء » العمل الوطني المسلح في انجولا . حيث تأكدت علاقات هذه « الحكومة » بالدوائر الامريكية. وقد كشف عن هذه العلاقات عمليات الاغتيال التي جرت على ايدي قوات حكومة انجولا في المنفى للمناضلين من اعضاء الحركة الشعبية، وسرعان ما عدلت حركة التحرر الافريقي ـ بتأثير القوى التقدمية فيها ـ من موقفها السابق وحيث فرضت الحركة الشعبية نفسها كممثل شرعي لشعب انجولا وكفاحه المسلح من أجل التحرر .

وامام هذه الوضعية الجديدة ، تقلصت مساحة المواقع التي تسيطر عليها قوات « حكومة انجولا » ، الى الحجم الطبيعي الملائم لوزن هذه الحكومة السياسي . وتنحصر هذه المواقع اليوم على مساحة محدودة من الارض في شمال انجولا ـ خارج حدودها ـ على الجانب الكونجولي . وعلى العكس من ذلك ، اصبحت « الحركة الشعبية » تسيطر على بعض الاراضي المجاورة للواندا ، فضلا الى جبهة الشمال في كابيندا التي تمثل نقطة ارتكاز هامة ، بالاضافة الى منطقة واسعة في الشرق بعد أن تم فتح جبهة جديدة على الحدود الشرقية مع زامبيا . وبالعمل المسلح : على محور في الشمال وآخر في الوسط وثالث في الشرق ، استطاعت الحركة الشعبية لتحرير انجولا أن تحول عددا غير قليل من المناطق داخل انجولا الى ميدان حقيقي لقتال القوات البرتغالية التي وصل عددها في انجولا اليوم الى ما يزيد على ٢٠ الف جندي .

.. وغينيا :

في عام ١٩٥٦ أسس الوطنيون في غينيا ، « الحزب الافريقي لاستقلال غينيا والراس الاخضر » ، ليصبح الكيان التنظيمي لحركة التحرر الوطني في البلاد . وبدأ الحزب كفاحه الوطني من خلال تحريك مظاهرات الاحتجاج والمطالب وتنظيم الاضرابات التي اتسع نطاقها في عام ١٩٥٩ وخاصة بين عمال الموانيء والصيادين . وكانت خسائر الافريقيين من هذه الاضرابات ، فادحة . حيث كان الكثيرون منهم يسقطون امام رصاص القوات البرتغالية .

وفي عام ١٩٦٢ ، عقد الحزب مؤتمرا سريا في بيساو (العاصمة) واقر برنامجا للعمل الوطني على جبهتين :

- جبهة الكفاح المسلح في الريف .
- جبهة العمل السياسي في المدن .

وفي ١٩٦٣ بدأ الحزب الافريقي لاستقلال غينيا والراس الاخضر، كفاحه المسلح في الريف . وخلال ٥ سنوات ، اصبحت قوات الحزب تسيطر على مساحة تبلغ ثلث مساحة البلاد .

ولمواجهة هذا التطور الخطير ، زادت البرتغال قواتها من ١٠٠٠ جندي عام ١٩٦١ الى ٣٠ الف جندي عام ١٩٦٨ . وتعتقد قيادة الحزب ان خطة القوات البرتغالية تقوم اليوم على اساس« تنظيم عملية انسحاب مخططة الى جزر الراس الاخضر كنقطة تجمع لشن هجوم واسع وعنيف على معاقل الثوار ، ومحاولة استرداد المناطق التي حرروها » .

.. ثم موزنبيق :

ظلت عناصر الحركة الوطنية في موزمبيق تعيش خارج حدود بلادها الى سنوات قريبة ، بفعل آثار الارهاب والقمع البرتغالي في البلاد ، واضطرارهم الى الهجرة الى البلاد المجاورة . وقد كان الوطنيون الموزمبيقيون ينشطون سياسيا من خلال الاحزاب الوطنية العاملة في كل من تنجانيقا وماوي وزامبيا . وبحصول هذه البلاد على « الحكم الذاتي » بدأ الوطنيون الموزمبيقيون في التفكير في خلق تنظيماتهم الوطنية المستقلة التي سرعان ما خرجت الى الوجود الفعلي بعد حصول هذه البلاد على استقلالها السياسي ، فاعلنت عن برامجها السياسية. ثم قرر حزبا اتحاد موزمبيق الوطني الديمقراطي ، والاتحاد الوطني لموزمبيق المستقلة (اللذان تأسسا في مالاوي) نقل مقر قيادتهما السياسية في عام ١٩٦١ الى تنجانيقا التي كانت على ارضها قيادة حزب اتحاد موزمبيق الوطني الافريقي . وفي ١٩٦٢ عملت حكومتا غانا وتنجانيقا على نصيحة هذه الاحزاب بالوحدة ، وبذلتا جهودهما من أجل عقد اجتماع للقيادات الثلاثة التي وافقت في يونيو (١٩٦٢) على توحيد أحزابها الثلاثة وتأسيس جبهة تحرير موزمبيق . وتبع قيام الوحدة ، عقد مؤتمر عام للجبهة ناقش ظروف موزمبيق ومشاكلها الوطنية واقر خطة الكفاح المسلح . وظلت قواعد الجبهة داخل موزمبيق تعبيء الجماهير من اجل تهيأتها للكفاح المسلح . وما ان اقامت الجبهة قواعد سياسية لها متينة داخل البلاد ودربت وحدات للقتال ، حتى اعلنت الجبهة المركزية للجبهة في ٢٥ سبتمبر ١٩٦٤ بداية الكفاح المسلح . وفي ١٩٦٨ استطاعت الجبهة ـ رغم حشد البرتغال لـ ٤٠ الف جندي ـ من ان تحرر منطقة واسعة في شمال اقليم نياسا وان تفتح جبهات جديدة في اقليم تيت بالقرب من نهر الزمبيزي حيث تجري أعمال بناء سد كابورا باسا .

ملامح مميزة ..

هكذا كانت حرب العصابات في انجولا وموزمبيق وغينيا .

حرب العصابات المسلحة الوطنية التي هي أرقى وانضج اشكال النضال الوطني في عالم القرن العشرين ، ضد الاستعمار البرتغالي بطبيعته التقليدية التي تلائم ظروف العصر ولا تقوى ـ استراتيجيا ـ على استمرار تحمل أعباء مواجهة حرب العصابات .

حرب العصابات المسلحة الوطنية ، وامامها خبرات لا تحد أثراها نضال شعوب اخرى سارت على نفس الطريق حيث انتصرت .

والاستعمار البرتغالي بطبيعته التقليدية ، وامامه طريق مسدود بتجارب فاشلة سبقه اليها كل من الاستعمار الانجليزي والبلجيكي والفرنسي وغيرهما من قوى الاستعمار القديم .

***

وسنحاول هنا أن نرصد الملامح المميزة المشتركة لحرب العصابات الوطنية في المستعمرات البرتغالية ، رغم أننا نعترف ـ مقدما ـ ما يشوب هذا الرصد من بعض التعميمات .

أولا : استراتيجية سياسية واحدة ، تسعى كل منها في بلدها الى انجاز مهامها التي تدور حول هدف : انتزاع الاستقلال السياسي وتحقيق السيادة الوطنية .

ثانيا : انتقال القيادة السياسية للعمل الوطني المسلح ، الى داخل البلاد . وبمثل ما تعكس هذه الخطوة ، حقيقة نجاح العمل المسلح في تحرير مناطق تمكنها من اتخاذ هذه الخطوة ، فانها تكفل كذلك ضمانا هاما من ضمانات حماية الحركة الوطنية من الانحراف . وبمعنى اخر يجنب قياداتها عبء الاغراءات التي غالبا ما تتوفر في المنفى وغالبا ما تؤدي بالتالي الى احتمالات المساومة أو التفريط .

ثالثا : رغم النجاحات التي حققتها حركات الكفاح المسلح ـ بنسب متفاوتة ـ الا انها جميعا ما تزال في مرحلة « الهجوم المتنقل » الذي يسعى لانزال هزائم جزئية بالعدو ، وذلك بغض النظر عن حجم الارض المحررة . أما مرحلة « الهجوم الشامل » الذي يهدف الى انزال هزيمة ساحقة ونهائية بالعدو ، فما تزال غير بادية في الافق القريب .

رابعا : ان القيادة السياسية والعسكرية لحرب العصابات في هذه البلاد ، قيادة واحدة : القيادة السياسية للحزب في كل منها . وبذلك تجنبت هذه التجارب احتمالات قيام أجهزة عسكرية ضاغطة . فالمكتب الذي يدير الكفاح المسلح وشئون الحياة في المناطق المحررة وتلك التي لم تتحرر بعد وللحزب نشاط فيها . ومن الاجهزة التابعة للمكتب السياسي ، « مجلس الحرب » الذي يسير أعمال الكفاح المسلح .

ومن هنا تبرز الاهمية الخاصة للبناء الحزبي . وليس صدفة ان تتدعم الابنية الحزبية في هذه البلدان ، كلما اشتد ساعد الكفاح المسلح . ومن خلال التجربة في ساحة القتال من جهة والاحتكاك اليومي بالجماهير في المناطق المحررة من جهة أخرى ، يتربى كادر الحزب وتثرى تجربته النضالية . والدور الذي يلعبه التنظيم السياسي في هذه البلاد ، لا يقل أهمية بأي حال عن اهمية « البندقية والمدفع الرشاش » . بل هو بالفعل اهم منها لانه يوجهها جميعا من معركة الى أخرى . فالكادر العسكري ـ السياسي ، شيء تخلقه الحرب والحزب معا . وبدون تجارب القتال تظل امكانيات الكادر العسكري محدودة وقاصرة . أما بدون الحزب فلا يتكون الكادر السياسي على الاطلاق . ولا شك أن تدعيم أبنية الحزب أثناء القتال ، عمل لا يقل في اهميته عن بناء وتدعيم قوات جيش التحرير .

خامسا : تقدم تجارب الكفاح المسلح في هذه البلاد ، خبرات جديدة لتاكتيكات حرب العصابات في العالم . فالمألوف حتى الآن ، ان تبدأ حرب العصابات من الاطراف على الحدود لتزحف نحو الداخل. ولكن حرب العصابات هنا ـ وخاصة في غينيا وانجولا ـ تقدم نموذجا آخر مختلفا فرضته الظروف الموضوعية الخاصة . فقد بدأت الضربات الاولى لحرب العصابات فيهما من الداخل ، وزحفت في غينيا الى الاطراف ، بينما تنقلت في انجولا ما بين الداخل والشمال والشرق . وقد كان لذلك تأثيره الكبير على رد فعل القوات البرتغالية التي أدهشتها هذه الضربات . فقد ظنت أن بدء الكفاح المسلح يعني قفل الحدود أولا والتركيز عليها . ولكنها فوجئت بتوالي الضربات في الداخل حتى اذا اعادت توزيع وحداتها الى الداخل ، انفجرت الضربات على الاطراف .. وهكذا .

وفي هذا المجال مارست الحركات المسلحة تاكتيكا بارعا بالعمل على تفريق قوات العدو وانتشارها بهدف اضعاف كل وحدة منها ، وبالتالي مواجهتها باعداد سابق ومتربص . فاذا ما كادت ترسي قواعد في منطقة ما ، تتحرك عناصر العمل المسلح في الداخل لتضطر قوات العدو الى التجمع والزحف نحو الداخل .. وفي هذه الحالة تحتل قوات التحرير المناطق التي أخلاها العدو أو تعمل على ذلك في ارتباط وثيق بتنشيط العمل السياسي بهدف شحذ يقظة وامكانيات سكان هذه المناطق لمنع العدو من العودة اليها .

سادسا : تتوفر لحروب التحرير في هذه البلدان ، قيادات سياسية تدرك ارتباط معركة التحرير الوطنية بقضية التطور الاجتماعي والاقتصادي . ذلك الارتباط الذي لا تفرضه فحسب طبيعة عالم اليوم وتجربة الشعوب في معركتها من أجل التحرر ، بل وتفرضه بشكل خاص تاكتيك حركة الكفاح المسلح فيها بالبدء من الداخل مما يفرض ضرورة توسيع القاعدة الجماهيرية للكفاح المسلح وللحزب السياسي الذي يقوده . ومن المستحيل ان يتم ذلك الا من خلال انجاز مكاسب حقيقية بسكان المناطق المحررة . هذا ، فضلا عن ان استمرار المعركة وضمانات حماية الشعب لقوات التحرير ومساندتها ـ يعني حشد الجماهير حول مصالح محددة واضحة وملموسة .

ولذلك أقامت حركات الكفاح المسلح في المناطق المحررة من هذه البلدان ، أبنية سياسية واجتماعية على أسس ديموقراطية تحت قيادة الحزب ، واقتصادا وطنيا على أسس جديدة وخلق معالم سوق جديدة، كما أقامت المدارس والمستشفيات ومؤسسات الخدمات الاجتماعية ، لم يشهد السكان نظيرا لها قبل تحرير منطقتهم .

سابعا : ان المصاعب التي تواجهها الحركات الوطنية المسلحة في هذه المناطق ، تكاد تكون واحدة . فهي تعاني ضعف الامكانيات المادية (من سلاح ومال ولوازم للحرب) . وبرغم المساعدات التي تلقاها .. من المواقع التقدمية في حركة التحرر الافريقي ـ كالجمهورية العربية المتحدة والجزائر وتنزانيا والكونجو برازافيل بالاضافة الى دول المعسكر الاشتراكي وكوبا ـ الا ان مساندة حلف الاطلنطي للبرتغال ، تتطلب امكانيات مضاعفة لتلك التي تملكها أو تلقاها حتى اليوم حركة الكفاح المسلح في هذه البلدان .

ولا شك ان ضعف هذه الامكانيات المادية ، يؤثر مثلا على سلاح الدعاية لهذه الحركات المسلحة . فهي حتى اليوم لا تملك محطة اذاعة داخل الاراضي المحررة ودور مثل هذا الجهاز في العمل السياسي والعسكري غني عن البيان . كما انها لا تملك اجهزة اتصال لاسلكية جديدة بين وحداتها المنتشرة مما يؤثر على التقارير العسكرية للمعارك التي تخوضها وحدات حرب العصابات حيث تصل غالبا متاخرة ، عن طريق الترجل أساسا نظرا لصعوبة الانتقال حتى بعربات الجيب بسبب عدم وجود الطرق المعبدة وبسبب تخريب الكباري لاعاقة حركة انتقال قوات العدو .

الكفاح المسلح ضد العنصرية :

اتخذ النهب الاستعماري اشكالا متنوعة وتعددت أساليبه باختلاف البلدان التي تتعرض له وبتغير الفترة التاريخية التي يتم فيها . ومن هذه الاساليب العمل على تهجير أجناس أجنبية وزرعها في مجتمعات أخرى غريبة عنها ومدها بكل مقومات الوجود والحياة في نفس الوقت الذي يقوم فيه الاستعمار بحملة شاملة للقضاء على الشخصيةالاصلية

للمستعمرة وخلق شخصية اخرى مغايرة تماما تتفق وحاجات المستوطنين الجدد وتخدم أهداف الاستعمار في محاولة لتخليد سيطرته والقضاء على اي تهديد بانبعاث الشخصية القومية .

وتسيطر العنصرية على جنوب القارة الافريقية تقريبا ، فهي تمتد من روديسيا الجنوبية في الشمال الى جمهورية جنوب افريقيا وجنوب غرب افريقيا . وبفعل حدة الصراع القائم في جمهورية جنوب افريقيا، بفعل التطور الاقتصادي في مصلحة الاقلية العنصرية بشكل كامل وعلى حساب الافريقيين ، وبفعل قيام الحركة الوطنية فيها منذ اوائل القرن .. المعبرة عن تفجر الصراع الطبقي ، الا انها لم تشهد حرب عصابات وطنية بالمعنى المعروف . واقتصرت الكفاح المسلح الوطني ، على « أعمال التخريب » التي تقوم بين وقت وآخر ، ولكن قوة النظام العنصري وبشاعة اساليبه في القهر ، يحول دون اتساع « أعمال التخريب » الى نطاق حركة تحرير مسلحة . بينما شهد آخر عام ١٩٦٧ (في اغسطس) أولى خطوات حركة تحرير مسلحة في روديسيا.

لماذا ؟

فرغم التطور الاقتصادي لروديسيا الجنوبية ، وبطش نظام سميث العنصري بالحركة الوطنية الافريقية فيها ، الا ان روديسيا تعد أضعف حلقات النظام العنصري في جنوب القارة .

كيف ؟

● كان لرد الفعل الدولي لاقدام حكومة سميث على اعلان « الاستقلال من جانب واحد » في نوفمبر ١٩٦٥ ، باستنكار الرأي العام العالمي والمنظمات الدولية لهذا « الاستقلال » غير الشرعي .. ثم موقف حركة التحرر الوطني الافريقي ومنظمة الوحدة الافريقية ، بادانة هذا الاجراء وادانة موقف بريطانيا المتواطيء والضغط عليها بقطع بعض الدول الافريقية لعلاقاتها الدبلوماسية مع بريطانيا ، ثم اجراءات المقاطعة الاقتصادية التي اتخذتها الامم المتحدة ـ برغم عدم فعالية هذه الاجراءات ـ نقول : كان لرد الفعل هذا آثاره الايجابية في خلق أرضية سياسية هامة لحركة ونشاط الحركة الوطنية لروديسيا .

● رغم تواطؤ بريطانيا مع حكومة سميث ، الا ان هناك واقعا لا يستطيع أحد انكاره ، وهو ان هناك ثمة تناقضات بين بريطانيا وبين حكومة سميث المتمردة » . ولا شك ان لهذا التناقض ـ رغم ثانويته ـ آثاره الايجابية التي تعمل الحركة الوطنية في روديسيا على استغلالها.

● توجد بعض الخلافات بين صفوف العنصريين انفسهم داخل روديسيا . وتدور حول نقطتين اساسيتين : الموقف من بريطانيا وعلاقات روديسيا بها ، ثم الموقف من شعار « حكم الاغلبية » من الافريقيين . وتعكس هذه الخلافات ، تباين رد الفعل لاجراءات المقاطعة الاقتصادية التي اتخذتها الامم المتحدة والتي تؤثر ـ ولو بشكل محدود ـ على مصالح العنصريين وشركاتهم العاملة في روديسيا .

● موقع روديسيا الجغرافي على حدود زامبيا من جهة وهي دولة مستقلة تمد يد العون للحركة الوطنية بفعل مصالحها الاقتصادية المهددة بقيام نظام عنصري ثابت في روديسيا ، وعلى حدود موزمبيق من جهة اخرى حيث يقع جزء من أراضي الحدود هذه تحت سيطرة الحركة الوطنية المسلحة . وتعد هذه الاراضي طريقا لمساعدات تنزانيا وبقية الدول الافريقية المتحررة ، الى الحركة الوطنية في روديسيا . بينما نجد جمهورية جنوب افريقيا لا تشترك في حدود مع اية دولة افريقية مستقلة يمكن ان ينفذ الوطنيون من حدودها الى الداخل .

تجربة جديدة :

في ١٩ اغسطس ١٩٦٧ ، اذاع حزب المؤتمر الوطني لجنوب افريقيا وحزب اتحاد شعب زيمبابوي (روديسيا) ، بيانا مشتركا جاء فيه :

« .. وكرفاق سلاح ، نواجه عدوا مشتركا ، ونحارب من اجل هدف مشترك ، ونواجه مصيرا مشتركا .. فقد شكلنا قوة موحدة من حزبينا لشن هجمات مشتركة ضد العدو في كل من مواقعه ، وذلك من اجل تحرير بلدينا » .

وقبل هذا البيان بايام ، وفي ١٣ أغسطس على وجه التحديد ، كانت قوة مشتركة من ثوار الحزبين ، تعبر نهر الزمبيزي لتشن أول هجوم لحرب العصابات في روديسيا ولتفتح صفحة ناصعة لتجربة جديدة في الكفاح المسلح .

وهكذا تشهد افريقيا تجربة هامة في تاريخ حرب العصابات بان تشارك وحدات من حزبين في بلدين في عمل مسلح واحد . ولا شك ان تجربة حزبي « زابو » والمؤتمر الوطني هذه ، تعد التجسيد العملي لشعار وحدة نضال القارة في أرقى وانضج ما تكون صور هذا الشعار.

وما تزال هذه التجربة ـ برغم مرور ما يزيد عن عام عليها ـ في بداياتها الحقيقية الاولى . فمركز حركتها وقيادتها هي حدود زامبيا المطلة على روديسيا ، وتاكتيكها الاساسي هو « الضرب بسرعة والاختفاء بسرعة » لتحقيق اهداف سياسية في المقام الاول ، تسعى الى تكثيف الاحساس بالخطر لدى رجال الاعمال البيض في روديسيا والذين يترددون بعض الشيء في تاييد كل خطوات حكومة سميث ،خوفا من نتائج سياسته على استمرار مصالحهم الاقتصادية الكبيرة .

ولقد ترتب على هذه الوضعية الجديدة ، أن سارعت حكومة جنوب افريقيا بمد يد التاييد والمساندة لحكومة وقوات سميث .. هذا التاييد الذي وصل الى حد ارسال قوات تابعة لحكومة جنوب افريقيا، للعمل جنبا الى جنب مع قوات حكومة سميث .

ونظرا لحداثة التجربة ، ولحقيقة انها ما تزال في مراحل بداياتها الاولى ، فمن الصعب ان نتناولها هنا بالتقييم التفصيلي اللازم . وبرغم ذلك فان هناك تساؤلا يلح ـ بدون شك ـ على خاطر كل من يتابع تطورات هذه التجربة الا وهو :

الى أي حد يمكن أن تنجح وحدات من قومية ما في المساهمة مع وحدات من قومية أخرى في تحرير بلاد هذه الاخيرة ؟ خاصة اذا وضعنا في الاعتبار ان وحدات حزب المؤتمر الوطني هي التي تشكل الثقل الاساسي ـ حتى الان ـ في حركة الكفاح المسلح هذه .

على اي حال ، انها تجربة وليدة تستحق عناية كبرى تفوق عناية هذه السطور ـ او حتى الجهد الفردي ـ وتطرح تساؤلها هذا بشكل اكثر دقة واكثر الماما بتفاصيل لم تعرف حتى الآن .

دعوة للحذر ..

لا شك ان تحرير جنوب القارة باسره ، كسب هام وحاسم لحركة التحرر الافريقي لا يساويه الا تحرر شمال القارة ، ليصبح وسط القارة الذي ما تزال مناطق واسعة فيه تحت سيطرة الاستعمار في شكله الجديد ، بين « حصار » حركة التحرر ومن ثم تصبح استمرار سيطرة الاستعمار الجديد موضع شك .

وهنا يكمن الخطر ..

فسوف لا ترضى قوى الامبريالية العالمية ان تصل حركات الكفاح المسلح هذه الى مشارف الانتصار النهائي . وسوف تجرب احتواءها او بعضا منها . فان لم تحتوها فسوف تحشد كل ما تستطيع حتى وان فاق حشودها في الفيتنام ، لتنزل بحركات الكفاح المسلح في الجنوب ضربات قاصمة .

ومن هنا ينبغي ان يحذر مناضلو حركات الكفاح المسلح . فان لم ينتبهوا لهذا الخطر من الان ويعدوا انفسهم ـ سياسيا وعسكريا ـ لمواجهته ، فانهم قد يجدون انفسهم فجاة امام أخطار تفوق بكثير ـ بما لا يقارن ـ أخطار كفاحهم اليوم .

ان تدعيم الابنية الحزبية والمؤسسات السياسية في المناطق المحررة ، جنبا الى جنب تدعيم الابنية العسكرية ، ضمان لحماية مكاسب الحركة المسلحة .. المحقق منها اليوم والمرتقب لها في المستقبل .

الكفاح المسلح .. ضد الاستعمار الجديد :

الاستعمار الجديد محاولة تلائم عالم اليوم ، لتصدير الصراع الاجتماعي في الدول الرأسمالية وتحقيق اكبر ربح على حساب قوة العمل في البلدان الخاضعة له . وللوصول الى هذا الهدف ـ الذي هو نفس هدف الاستعمار القديم ـ يجدد الاستعمار أساليبه لابقاء

البلدان المتخلفة في اطار الاقتصاد الراسمالي العالمي . وهو وان لم يكن قد نبذ نهائيا الاساليب القديمة في القهر السياسي والاقتصادي والعسكري المباشر ، الا انه لا يستطيع ان يلجأ اليها الا في حالات محدودة . وهنا يضطر الاستعمار الجديد الى ادخال تغييرات على أساليب الاستعمار القديم . فيتخلى مثلا عن بعض أشكال الاستغلال التي لا تحقق فوائد كبيرة وسريعة . وهو ايضا يقرر أشكالا جديدة للاستغلال ذات فائدة مزدوجة : فهي مصدر للارباح الطائلة ، وهي في نفس الوقت اقل استفزازا لشعوب البلاد الخاضعة لسيطرته . وهو ثالثا يتخلى عن السلطة السياسية ـ الاسمية ـ ويسلمها الى قطاعات اجتماعية لها مصالح محققة في استمرار سيطرته ونفوذه .

وفي مواجهة الاستعمار الجديد في افريقيا ، قامت تجربتان للكفاح المسلح . احداهما فشلت وصفيت ، والثانية تنسدل عليها ستائر الصمت الذي لا يفيد . الاولى قامت في الكونجو ليوبولدفيل (كنشاسا اليوم) ، والثانية في الكاميرون .

تجربة الكونجو :

تجنبا للتكرار ، نكتفي هنا بالقول ان تاريخ الكونجو ـ منذ مقتل اومومبا وحتى اليوم ـ هو محصلة الصراع بين الحركة الوطنية الكونجولية وقوى الاحتكارات العالمية من جهة ، ثم الصراع بين قوى الاستعمار العالمي بعضها البعض من جهة اخرى ، وبين هذه الصراعات فقد شعب الكونجو جوهر استقلاله الوطني ونهبت ثرواته واستنزفت طاقته وقتل الآلاف من ابنائه ، بينما جنى الاستعماريون كل شيء .

لقد حققت الثورة المضادة في الكونجو ـ حتى الآن ـ نجاحا ضد قوى الحركة الوطنية المسلحة التي قامت في ١٩٦٥ ، وذلك عن طريق استخدام الاستعماريين لاعنف وأشد وسائل البطش والارهاب ضد قوات الحركة الوطنية المسلحة ، واستعانة الحكومة العميلة لتشومبي بالمرتزقة البيض المدربين على أحدث الاسلحة وتاكتيكاتها العسكرية ضد قوات من الوطنيين ضعيفة وقليلة الخبرة والمران سياسيا وعسكريا .

وقد ساعد الاستعمار الجديد على تحقيق اهدافه عددا من السلبيات التالية :

● الخلافات الشخصية بين زعماء الحركة الوطنيةالمسلحة ، والتي لعبت دورا هاما في الانتكاس بالثورة . هذه الاختلافات التي كانت مدخلا واسعا الى انحراف كثير من عناصر قيادة هذه الحركة ووقوعها صرعى امام شتى الاغراءات. (وتلك قضية سنعرض لها بعد ذلك نظرا لاهميتها واحتمالات تكرارها ما لم تحذر أسبابها قيادات حرب العصابات القائمة اليوم) .

● تردي قيادات الحركة المسلحة في آثار الخلاف الصيني السوفياتي . هذا التردي الذي حال ـ عام ١٩٦٥ ـ دون توفر الجو الصحي الملائم لوحدة قيادات حرب العصابات .

● افتقار الحركة الوطنية المسلحة ، الى زعيم قومي في مستوى متطلبات الموقف ، قادر على تجميع الصفوف . لقد كانت الحركة المسلحة الكونجوليةفي حاجة الى « لومومبا جديد » مستوعب لاخطاء لومومبا نفسه ، وليس في ذلك عبادة للفرد . ولكنه استجابة لحقيقة موضوعية تؤكد ضرورة دور « الفرد التقدمي » في ظل ظروف تاريخية محددة .

● غلبة عناصر المثقفين على قيادة تلك الحركة . ولا يعني ذلك ـ بشكل مباشر أو غير مباشر ـ عدم الاعتراف بدورهم الطليعي في مرحلة تاريخية معينة . ولكن عدم تطعيم « حركة المثقفين » بعناصر طبقية ثورية ، يفتح الطريق واسعا امام احتمالات الانحراف .

الكاميرون .. والحرب المنسية :

برغم استقلال الكاميرون في يناير ١٩٦٠ ، وتولي حكومة احمدو اهيدجو (زعيم حزب حركة اتحاد الكاميرون) السلطة السياسية ، الا ان البلاد لم تتخلص بعد من نفوذ الاستعمار السياسي والاقتصادي. وبرغم اعمال الاغتيال السياسي ضد قيادات حزب « اتحاد شعب الكاميرون » ـ باغتيال روبين أوم نيوب عام ١٩٥٨ ثم فيليكس مومية عام ١٩٦٠ ـ الا ان هذا الحزب ما زال يعمل على تنظيم شعب الكاميرون للتخلص من « الاستعمار الجديد » وتحقيق « الاستقلال الحقيقي للبلاد » على حد تعبير بيانات الحزب . واصبح حزب اتحاد شعب الكاميرون يتحمل عبء النضال من اجل هذا « الاستقلال الحقيقي» متخذا من الكفاح المسلح طريقا لذلك .

وقد استطاعت قوات حرب العصابات التابعة للحزب ـ تحت قيادة ارنست اونديه نائب رئيس الحزب ايام رئاسة موميه ـ ان تفتح جبهة قتال في غرب الكاميرون . وفي ١٩٦٧ قرر الحزب فتح جبهة قتال اخرى في الجنوب . ويطلق بعض الصحفيين على هذه الحرب : الحرب المنسية في افريقيا .

وينظر حزب اتحاد الكاميرون الى الحكومة القائمة في البلاد الآن على انها « صنيعة الاستعمار العالمي وبخاصة الفرنسي » . ويحدد اهداف فتح الجبهة الثانية بانها « لتدعيم الكفاح المسلح في كل اراضي البلاد للتعجيل بتحقيق الاستقلال الوطني الحقيقي لشعب الكاميرون ، وبناء الحياة الجديدة للبلاد على اساس الاشتراكية العلمية » .

ويعود في رأينا « تقوقع » او « انعزال » حركة الكفاح المسلح في الكاميرون وعدم بروزها الى عالم الضوء ، عدة اسباب نرصدها فيما يلي:

● الوضعية المعقدة لمسار حركة التحرر الافريقي من هذه المرحلة والتي فرضت عدم اثارة بعض مشاكل قد تؤثر على البقية الباقية من منظمة الوحدة الافريقية ، التي يعد الاحتفاظ بها مكسبا لا شك فيه .

● تبني هذه الحركة لما اصطلح على تسميته « بالاتجاه او الفكر الصيني » ، مما دفعها الى اتخاذ مواقف « متشنجة » من بعض المؤسسات الافريقية وخاصة منظمة الوحدة . فادى ذلك بالتالي الى عزلها عن بقية حركات الكفاح المسلح في القارة .

● ضعف هذه الحركة وعدم تمكنها بعد من احراز انتصارات تحقق لها ثقلا ملموسا في حركة الكفاح المسلح للقارة .

أخطار .. على الطريق :

نعود الآن لما سبق والمحنا اليه عند الحديث عن حركة الكفاح المسلح في الكونجو . وقد ارجانا الحديث عنها ، نظرا لما تمثله هذه القضية من خطر عام ينبغي على حركات الكفاح المسلح في افريقيا التنبه له واتخاذ ما يلزم لعلاجه .

اننا ننظر الى حقيقة غلبة عناصر المثقفين على قيادات حركات الكفاح المسلح هذه ، باعتبارها ظاهرة موضوعية لمعطيات تاريخية صحيحة . ولكن حقيقة ضعف الانتماءات الطبقية لهؤلاء المثقفين في افريقيا الجنوبية ، نظرا للاوضاع الاجتماعية المعقدة وسيادة مفهوم « الولاء القبلي » ، هذه الحقيقة تمثل خطرا محتملا . كما انها تفسر لنا ظاهرة سقوط بعض القيادات ـ كما حدث في الكونجو ـ امام عديد من الاغراءات المادية .

فنزوح المثقف بامكانياته المتفوقة على امكانيات المواطن العادي ، من قلب المجتمع القبلي المتخلف ، الى الحياة السياسية باغراءات السلطة والمال وخاصة في حياة المنفى ـ التي غالبا ما تكون عاصمة متحضرة ـ يعرضه « للانبهار » بالحياة الجديدة ويخلق لديه تطلعات طبقية غير مشروعة وغالبا ما تتم على حساب معتقداته الفكرية والوطنية .

والمشكلة هنا ، انه برغم ايمان المثقف الثوري الافريقي في هذه المناطق ، بما قرأه عن دور الجماهير واهميته التاريخية ، الا انه في الممارسة العملية والاحتكاك اليومي لعمله الثوري ، يجد فارقا كبيرا بين ما قرأه وبين ما يراه في الواقع حيث الجماهير على درجة كبيرة من التخلف السياسي والفكري . وهنا يتضخم احساسه « بالذات » و « بتفوقه » . هذا الاحساس الذي ما لم تصقله وتنضجه تربية حزبية سليمة ، غالبا ما يسفر عن مسلك انتهازي يلوي عنق المبادىء ليبرر كل انحراف يسوغه له « تفوقه » او « وضعيته الاستثنائية » .

وهنا ، تبرز مرة اخرى ، الاهمية القصوى لدور الحزب السياسي في خلق الكادر الثوري القادر على الدفاع الملتزم عن مصالح الجماهير التي فرضت عليها السيطرة الاستعمارية تخلفا رهيبا ، دون الوقوع في براثن الانتهازية والانحراف .. والارتداد عما يؤمن به .